ما ذكرنا يقبح كان ضده محموداً وهو استبطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والشفقة والفهم بقدر الرزية فصح بهذا أن الاعتدال هو أن يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى أنه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع . ولو علم ذو الرأي الفاسد ما استضرّ به من فساد تدبيره في السالف لأنجح بتركه استعماله فيما يستأنف وبالله التوفيق

﴿ فصل في تطلّع النفس الى مايستر عنها من كلام مسموع أو شيء مرئي أو الى المدح وبقاء الذكر ﴾

هذان أمران لا يكاد يسلم منهما أحدٌ إلاّ ساقط الهمة جداً أو من راض نفسه الرياضة التامة وقمع قوة نفسه الغضبية قمعاً كاملاً أو عانى مداواة شره النفس الى سماع كلام تُستّر به عنها أو رؤية شيء اكتتم به دونها أن يفكّر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار الارض المتباينة فإن اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم العقل البتة . وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفي به عنه الا كسائر ما غاب عنه منه سواء بسواء ولا فرق . ثم انزد احتجاجاً على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يانفس

أرأيت ان لم تعلمي ان ههنا شيئاً أُخفي عليك أ كنت تَطلّعين الى معرفة ذلك فلا بدّ من لا فليقل لنفسه فكوني الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي بأنّ ههنا شيئاً سُتِرَ عنك فتربحي الراحة وطرد الهم وألم القلق وقبح صفة الشره وتلك غنائم كثيرة وأرباح جليلة وأغراض فاضلة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها إلاّ تام النقص وأما من علق وهمه وفكره بأن يمتد اسمه في البلاد ويبقى ذكره على الدهر فليتفكر في نفسه وليقل لها يانفس أرأيت لو ذكرت بأفضل الذكر في جميع أقطار المعمور أبد الأبد الى انقضاء الدهر ثم لم يبلغني ذلك ولا عرفت به أكان لي في ذلك سرور أو غبطة أم لا فلا بدّ من لا ولا سبيل الى غيرها ألبتة فاذا صحّ وتيقن فليعلم يقيناً أنه اذا مات ولا سبيل له الى علم أنه يذكر أو انه لا يذكر وكذلك ان كان حياً اذا لم يبلغه ثم ليتفكر أيضا في معنيين عظيمين أحدهما كثرة من خلا من الفضلاء من الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم أوّلاً للذين لم يبق لهم على أديم الارض عند أحد من الناس اسمٌ ولا رسم ولا ذكر ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه ثم من

الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السالفين والزهاد ومن الفلاسفة والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبُناة المدن الخالية وأتباع الملوك الذين أيضاً قد انقطعت أخبارهم ولم يبق لهم عند أحد علم ولا لأحد بهم معرفة أصلا البتة فهل ضر من كان فاضلاً منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس من محاسنهم أو حط درجتهم عند بارئهم عز وجل ومن جهل هذا الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بأيدي الناس من تاريخ ملوك بني اسرائيل فقط ثم ما بأيدينا من تاريخ ملوك اليونان والفرس وكل ذلك لا يتجاوز ألفي عام فأين ذكر من عمر الدنيا قبل هؤلاء أليس قد دثر وفني وانقطع ونسي البتة ؟ وكذلك قال الله تعالى « ورسلاً لم نقصصهم عليك » وقال تعالى « وقروناً بين ذلك كثيراً » وقال تعالى « والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله » فهل الانسان وان ذكر برهة من الدهر الا كمن خلا قبل من الامم الغابرة الذين ذكروا ثم نُسوا جملة . ثم ليتفكر الانسان فى من ذكر بخير أو بشر هل يزيده ذلك عند الله عز وجل درجة أو يكسبه فضيلة لم

يكن حازها بفعله أيام حياته فاذا كان هذا كما قلناه فالرغبة فى الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلاً لكن انما ينبغي أن يرغب الانسان العاقل في الاستكثار من الفضائل وأعمال البرّ التي يستحق من هى فيه الذكر الجميل والثناء الحسن والمدح وحميد الصفة فهي التي تُقرّبه من بارئه تعالى وتجعله مذكوراً عنده عزّ وجل الذكر الذي ينفعه ويحصل على بقاء فائدته ولا يبيد أبد الأبد وبالله تعالى التوفيق

شكر المنعم فرض واجب وانما ذلك بالمقارضة له بمثل ما أحسن فاكثر ثم بالتهمم بأموره والتأتّي بحسن الدفاع عنه ثم بالوفاء له حياً وميتاً ولمن يتصل به من ساقةٍ وأهل كذلك ثم بالتمادي على ودّه ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وطيّ مساويه ما دمت حيا وتوريث ذلك عقبك وأهل ودّك . وليس من الشكر عونه على الآثام وترك نصيحته فيما يُوتِغُ به دينه ودنياه بل من عاون من أحسن اليه على باطل فقد غشّه وكفر إحسانه وظامه وجحد انعامه وأيضاً فانّ احسان الله تعالى وإنعامه على كل حال أعظم وأقدم وأهنأ من نعمة كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار

الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا أن يخاطبنا وسخّر لنا ما في السموات وما في الارض من الكواكب والعناصر ولم يفضّل علينا من خلقه شيئاً غير الملائكة المقدّسين الذين هم عمّار السموات فقط فأين تقع نعمُ المنعمين من هذه النعم فمن قدّر أنه يشكر محسنا اليه بمساعدته على باطل أو بمحاباته فيما لا يجوز فقد كفر نعمة أعظم المنعمين وجحد احسان أجلّ المحسنين اليه ولم يشكر ولي الشكر حقاً ولا حمد أهل الحمد أصلا وهو الله عز وجل ومن حال بين المحسن اليه وبين الباطل وأقامه على مرّ الحق فقد شكره حقا وأدّى واجب حقه عليه مستوفى ولله الحمد أولا وآخراً وعلى كل حال

﴿ فصل في حضور مجالس العلم ﴾

اذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك الا حضور مستزيد علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشيعها أو غريبة تشنعها فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً فاذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال وان لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في